دائرة المعارف الاسلامية

نقد وتقـــدير

للاستاذ اسماعيل مظهر

ترجمها محمد ثابت الفندى وأحمد الشنتناوى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس ، تصدر فى أجزاء دورية كل شهرين . صدر منها العدد الاول من المجلد الاول فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير محلى بصورة جلالة ملك مصر وصدر بمقدمة فى ٦ صفحات من قلم « لجنة الترجمة » والورق ممتاز والطبع حسن .

***

بورك فى الشباب ! بورك فى الشباب عامة والطامحين منهم خاصة . فالشباب روح الامم وعمادها . والطامحون من الشباب هم بناة المجد وسدنة الحضارة وعمد القوة . والشباب اذا نام خيم على الامم النسيان وغشيها السكون وهوم عليها النعاس . نعاس القرون بل نعاس الحقب والدهور . والشباب اذا تيقظ ودارت رحاه قذف بالكرات الواقفة على عجلة الدائرة الى فضاء العدم ، واستخلص من لباب الامم كرات جديدة تساير رحاه فى حركتها وتضيف اليها قوى جديدة يستعان بها على بلوغ الغرض الاسمى والمثل الاعلى . أما الشباب القانع المستنيم للدهر وللاقدار ، فلا خير فيه الا يقدر ما فى البذرة الحية من الاحتفاظ بجنينها ، لتسلمه الى الطبيعة حياً عسى أن تكون منه جرثومة تخرج شباب الطموح والاستعلاء والتطلع الى اللانهاية .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

ونحن اليوم أمام عمل يقوم به الشباب المتوثب الى المجد ، المتعطش الى المعرفة ، الوثاب الى المثل والغايات . عمل أقل ما يوصف به أنه أثر جليل من آثار القوة والجرأة النادرة التى تنبئنا بأن عجلة الشباب قد أخذت تدور لتقذف بالكرات الواقفة ، وتجمع من حولها الكرات الدائرة . فان ترجمة موسوعة كاملة ، فى أى موضوع كانت ، و من أى مصدر استقيت ، لعمل عظيم . فكيف بموسوعة كدائرة معارف الاسلام وعت الوانا من التاريخ والفقه والتصوف والفلسفة واللاهوت والترجمة والجغرافية وعلم الهيئة الى غير ذلك مما وعت حياة العرب قبل الاسلام وبعده . فان العلاقة بين الاسلام والجاهلية لعلاقة شديدة الاصرة تتعارض فى نسيجها خيوط من روح الامم العربية والامم التى دانت بالاسلام . وكل هذا يزيد من صعاب العمل على المؤلفين ، ولا يجعله هينا على المترجمين . فاننا لم نعن بعد بتبويب ما وصل الينا من فروع المعرفة التى تلقيناها عن العرب ، ولم تفكر حتى فى تصنيف اسماء الكتب التى تعتبر مراجع صحيحة نعود اليها فى معرفة أسماء البلدان أو الاشخاص أو الاماكن ، أصيلة كانت أو معربة عن اللغات الاخرى كاللغات السامية ، ومنها السريانية والآرامية ، واللغة الاغريقية على الأخص . ولقد كان هذا سببا فى أن يتورط مترجمو هذه الموسوعة فى أخطاء هم أبعد الناس عن أن يقعوا فى مثلها عن قصد ، أو عن حاجة الى الصبر على البحث ، أو عن زهد فى توخى الكمال المستطاع . ولو اننا أردنا أن نذهب فى نقد العدد الاول وهو باكورة هذا العمل الذى يرقبه اديب عراقى « كما يرقب الصائم هلال العيد » مذهب الاطناب لا الايجاز لاحتجنا الى الوقت والى الفراغ . لهذا نعمد الى بعض المواد ونتناولها بالمناقشة البريئة من كل غاية الا أن يتدارك شبابنا الطامح بعض الاخطاء التى نرجح اننا فى نقدها على حق . ونصيحتنا التى لا نرمى من ورائها الى أى غرض بعيد عن توخى الاصلاح ، ان يعيد مترجمو هذه الموسوعة النظر فيما طبع منها وما لم يطبع ، وأن يستعينوا بذوى التجربة والنظر ، وان يترفعوا فى عملهم هذا عن فكرة الاعتزال به عمن يستطيعون أن يعاونوا فيه صونا لسمعة أعمالنا الأدبية أن ينتابها النقص أو تنتقصها الانانية .

على أنى أريد أن ألفت نظر اللجنة المحترمة الى عبارة وردت فى المقدمة جاء فيها : « ومما يغتبط له قارىء هذه الدائرة أن أعلام مصر سواء أكانوا من علماء الأزهر الشريف أو من أساتذة دار العلوم أو الجامعة المصرية قد ساهموا بنصيب وافر فى مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات ، وفى إبداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة » هذه هى العبارة وانى لأعجب كيف أن أعلام مصر من علماء الأزهر الشريف وأساتذة دار العلوم والجامعة المصرية قد فاتتهم هنات هينة وأخطاء نحوية مثل قولهم « طبع مرتان » (راجع مادة أبشقة ص ٦٣) وغير ذلك مما نمسك عنه ونكتفى بتوجيه نظر اللجنة اليه .

بيد أنا إن اكتفينا هنا بالاشارة البسيطة فاننا نود ان نعبر عن اسفنا الشديد لايراد مثل العبارة التى نقلناها عن المقدمة فان فيها لتفريطاً ، وان فيها لمغالاة ، وان فيها لاشراكا لأعلام مصر أجمعين فى أخطاء مثل التى سوف نسوق الكلام فيها .

والآن نبدأ بمادة «أبخاز» وقد وقع عليها النظر إتفاقاً ، فآثرنا ألا ننتقل الى غيرها ومضينا فى مراجعتها فبانت لنا الملحوظات الآتية :

(١) جاء فى ص ٢٠ نمر ٢ — « وكان الابخازيون يعرفون قديما باسم أبسكوى (عند المؤرخ آريان) وباسم أبسجى (عند بلنياس Pliny) ويذكر بروكوبيوس (فى القرن الخامس الميلادى)

أن الأنخازيين كانوا تحت حكم اللازوى . وجاء فى ص ٢١ ، نهر ١ وكان سيدر نيوس البيزنطى » الخ . والصحيح فى تعريب الأسماء أن نجرى فيها على القواعد التى جرى عليها العرب، فلا نقول بلنياس بل بلنيوس ، ولا نقول بروكوبيوس بل فروقوفيوس ، ولا نقول سيدر نيوس بل قدرنيوس، أما قواعد التعريب فحديث طويل ليس هنا محله .

(٢) «ولكن الأسباب الجغرافية وحدها تجعل إحتلال هذا الأقليم احتلالا فعليا بعيد الاحتمال .» (ص ٢٠ نهر ٢) والأصل الأنجليزى كما يلى

Geographical reasons alone sufficed to put any idea of really subjugating the country ourt of question.

والمحصل من الترجمة والأصل أن المترجم وضع كلمة « الأسباب الجغرافية » مقابل - geographical reasons - والأصح أن يقال « العوامل أو المؤثرات أو الموانع الجغرافية » لأن كلمة الأسباب تتضمن معنى « الناموس » الثابت فى حين أن كثيراً من المؤثرات الجغرافية يتنابها التغير إن سريعا وان بطيئا على تتالى الأجيال وخضوعا لسنن يعرفها الفلكيون والجيولوجيون على الأخص . ووضع المترجم كلمة «تجعل» لتقابل - sufficed - والكلمة الانجليزية معناها « كفت » ، ثم أنه ساق الجملة العربية فى صيغة المضارع وهى فى الاصل بصيغة الماضى لانها تتكلم عن ماض محدود بالزمان . ووضع كلمة احتلال لتقابل كلمة - subjugation - فى حين أن احتلال معناها فى الانجليزية - occupation - ولكن subjugation معناها اخضاع . والظاهر أن المترجم لم يهتف مرة واحدة بسقوط الاحتلال لا بالانجليزية ولا بالفرنسية ، ووضع العبارة الانجليزية out of question - لتقابل بعيد الاحتمال، والحقيقة انها وضعت لتدل على أن: «العوامل الجغرافية وحدها كفت لان تصرف العرب عن التفكير فى اخضاع الاقليم اخضاعا تاماً . والواقع أن احتلال اقليم قد يجوز أن يكون تاما ولكن الاقليم لايكون خاضعا بالفعل . فان ايطاليا احتلت طرابلس احتلالا عسكريا تاما بأن بددت كل قواه العسكرية ، ولكن اخضاع أهل الاقليم لم يتم الا بعد زمان طويل . والفرق بين الاحتلال والاخضاع لاينبغى أن يغيب عن ذهن مترجم يكتب فى ابحاث تاريخية سياسية . لان ملاحظة مثل هذه الفروق الدقيقة ضرورى لينطبق تصور القارىء دائما على الحالات التى يريد المؤرخ أن ينقلها الى مخيلته .

(٣) «وقد اخضع جستنيان الامبراطور الرومانى الانخازيين فاعتنقوا المسيحية». (ص ٢٠ نهر ٢) والخطأ هنا فى تعريب اسم الامبراطور الرومانى «يوستنيانوس» Justinian لان حرف — j — ينطق « ياء » فاثبته المترجم « جيما » على الضد من كل الاصول المرعية .

(٤) «ومنذ ذلك العهد أصبحت لغة جورجيا لغة الادب» . (ص ٢١ نهر ١) وماهى لغة جورجيا ، ؟ المؤلف يقصد هنا لغة أهل الكرج — Georgia — التى عربها المترجم باسم جورجيا حرفيا . فى حين أن العرب ومن أتى من بعدهم قالوا الكرج . ومن الاسف أن المترجم جرى على هذا الخطأ فى كل الجزء المطبوع . فقال ملك جورجيا وهو ملك الكرج تحقيقا .

(٥) « وعند البحث عن أصل موطن البجراتونيين يجب أن نتجه نحو الغرب (نحو جرخ وريون) » . وفى الاصل الانجليزى — On the Corokh & Rion — والمفهوم من العبارة الانجليزية أن المؤلف يقصد شواطىء نهرين ولو لم نتحقق من ذلك بل أدركه بالسليقة فقال « نحو الغرب على الكرخ والريون . فجاءت الترجمة غامضة بعيدة عن الاصل . وكذلك يجب ان نلاحظ أن المترجم قد اكثر من ذكر الانخاز بصيغة - جمع الجمع فقال الانخازيين والبجراتونيين وغيرهم . فى حين أن الانخار جمع كالاعراب . ولا يصح أن تقول أعرابيين أصلا . أما فى البجراتونيين فقد اصطلح مثلا على أن ندعو القبيلة التى انحدر منها أهل أتينا القديمة « فلاسجة » واسمها الاصلى فى الانجليزية - Pelasgians - وهى صيغة عربية مقبولة تجرى على قواعد التعريب المتبعة . فكان الواجب على المترجم اذن ان يقول البجارطة بدل البجراتونيين . هذا اذا لم يكن العرب قد اصطلحوا على تعريب لاسم هذه القبيلة، ولا اتصور أن يكون بعيدا كثيراً عما اذهب اليه .

(٦) وورد فى خطاب الامبراطور طرابزون انه كان لامراء الأنخاز جيش يبلغ عدده ... / ٣٠ مقاتل (ص ٢١ نهر ٢) وفى الأصل الانجليزى :

according to a letter from the Emproor of Trebizond in the year 1459 etc.,

والفرق بين الاصل والترجمة شاسع . فالترجمة تقول « فى خطاب الأمبراطور » .. والاصل فى خطاب من امبراطور .... وهنا لك فرق لايخفى بين خطاب لامبراطور وخطاب من امبراطور ، فضلا عن أنه اسقط السنة المسكينة (١٤٥٩) من الترجمة كلية .

(٧) لم يستطع الابخازيون ان يتخلصوا من سلطان الترك ونفوذ الاسلام فى حين كانت المسيحية تتناقص فى بطء شديد . (ص ٢١ سطر ٢) والاصل الانجليزى ذكر كلمة Supplauted فترجمت خطأ تتناقص والحقيقة تستأصل . لان النقص يعبرعنه فى الانجليزية بكلمة decrease ويقابله الزيادة — increase — هذا فضلا عن ركاكة التعبير الذى نحسه فى استعمال تتناقص ببطء شديد .

(٨) ومنذ انفصال جورجيا صار يحكم بلاد الابخاز كاثوليكوها (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر للميلاد) فى بتزند (ص ٢١ سطر ٢) والاصل الانجليزى كما يلى :

since the separation from Georgia the Country had been under its own Catholicos (for the rest mentioned as early as the 13th Century) in Pitzand.

والخطأ هنا فاحش . فان المؤلف لو كان قد أراد أن يقول أن البلاد كان يحكمها كاثوليكيوها لقال -its own Catholics- وكأنه من الواجب أن يدرك المترجم أن كلمة -Catholicos- تدل على وظيفة كنيسة كما يفهم بديا من سياق الجملة ومن سياق الحديث معا. أما كلمة - Catholicos - فقد عربت وأثبتت فى المعاجم العربية ونقلت عنها الى المعاجم الانجليزية العربية الكبرى . فجاء فى قاموس « بدجر » - Badger الفقيه الانجليزى المعروف أمام هذه الكلمة « الجثالقة جمعا مفردها جاثليق » . وجاء فى القاموس المحيط للفيروزابادى — « هو الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى يكون فى بلاد الاسلام ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف يكون فى كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس » . (ص ٢١٧ مجلد ٣) .

وهذا يدل على أن المترجم قد أخطأ . وأنه أخطأ خطأ فاحشاً من الوجهتين التاريخية والعلمية فالتاريخ لم يثبت أن الكنتالكة كان لهم حكم مدنى فى بلد من بلاد الاسلام . والناحية العلمية، كما يدل سياق الكلام فى الأصل، تشير الى أن الجثالقة كان يناط بهم أن يرعوا أحوال النصارى الشخصية على قواعد الدين النصرانى تحت حكم الاسلام المدنى . وعلى هذا يجب أن تكون الترجمة على خلاف ما جاء فى « دائرة المعارف الاسلامية » ، ويجب أن تكون كما يأتى « ومنذ الانفصال عن الكرج (لا منذ انفصال جورجيا لأن الأصل separation from Georgia) كان للبلاد جاثليقها المقيم فى بتزند. أما الجملة المعترضة التى جاء فيها for the rest mentioned as early as the 13 th Century والتى ترجمها المترجم بقوله: (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر الميلادى) ويقصد بهم الكاثوليك خطأ بعد أن خلقهم من وهمه والوهم خلاق، فيراد بها أن بقية الحكام الذين يمثلون نواحى الحكم الاخرى كانوا يذكرون منذ القرن الثالث عشر الميلادى . واذن يكون تعيين جاثليق يرعى مصالح النصارى لم يأت الا بعد أن امتد نفوذ الاسلام ، واحتاج الامر الى راع يرعى مصالح الاقلية المسيحية فى بلاد اسلامية .

(٩) « وفى عام ١٤٦٢ م (فى عهد الملك بجرات الثانى) ثبت أمراء أسرة شروشيد فى مراكزهم » والاصل الانجليزى كما يلى :

in 1462 (under king Bagrat II) the confirmation of the Sherwashidze as princes (Eristaw) of the country took place

وانت تتساءل ماهى مراكزهم هذه ؟ هى أنهم اعترف بهم أمراء. هكذا يريد الاصل أن يقول . ولكن المترجم يريد أن يقول أنهم ثبتوا فى مراكزهم لا غير . وعلى القارىء أن يضرب الرمل ويناجى الودّع ليعرف فى أى المراكز ثبتوا . ولو تصور أنهم ثبتوا فى الارض بالاسمنت المسلح لكان له عذر . يتبع

« حول قصيدة — بقية المنشور على صفحة ٦ »

ما بذلت من الجهد لمظهر فيه من الحرص على أن تحتفظ ما استطعت ببعض الاصل ، وإذا كنت قد استطعت أن تترجم هذه القصيدة فليست هى إذن من الغموض بحيث يقال . فان قصيدة مظلمة حقا تحتاج الى تغيير أعمق من هذا التغيير الذى أحدثته لتصبح ترجمتها أمراً ميسورا . فأنا مدين لك بهذا الدليل الواضح على أن المقبرة البحرية شيء يمكن فهمه إذا عنى القارىء بعض العناية بقراءتها ورغب بعض الرغبة فى فهمها .

وأظن أن السخرية فى هذا الكتاب أوضح من أن تحتاج الى أن أدل عليها ، ولعلك تسألنى أن أترجم لك هذه القصيدة كلها أو بعضها ، ولكنى معتذر من ذلك لأمرين . الأول : أنى أجد فى قراءة القصيدة لذة راقية قوية حقا ، ولكنى لا أستطيع أن أقول أنى أفهمها على وجهها ، وليس على من ذلك بأس مادام النقاد والأدباء الفرنسيون وهم أعلم منى طبعا بلغتهم وأدبهم يختلفون فى فهمها الى هذا الحد . والثانى : أن بول فاليرى نفسه يرى أن ترجمة الشعر الى النثر قتل لهذا الشعر ، وتمثيل به ومحو لآيات الجمال فيه ، وأعوذ بالله أن أقترف هذه الجناية أو اتورط فى هذا الأثم ، ولكن فى مصر شعراء أو أنا أرجو أن يكون فى مصر شعراء يحسنون الفرنسية فهل لهم أن يستبقوا فى ترجمة هذه القصيدة شعراً عربيا ، وهل لأصدقائنا أصحاب الرسالة أن يجعلوا للفائز فى هذه المسابقة من الشعراء جزاء يلائم ما سيبذله من الجهد الذى سيكون عنيفا حقا ، ولكنه سيضع أمام قراء اللغة العربية نموذجا من أرقى وأروع نماذج الشعر الحديث ؟